

صيد الخاطر

257 - - فصل : المباحات تشغل عن تحصيل الفضائل .

أشد الناس جهلا منهوم بالذات و اللذات على ضربين : مباحة و محظورة فالمباحة لا يكاد يحصل منها شيء إلا بضياغ ما هو مهم من الدين فإذا حصلت منها محبة قارنها قنطار من الهم ثم لا تكاد تصفو في نفسها بل مكدراتها ألوف .

فإذا صور عدمها بعد انقضائها و بقاء هذه الألوف المكدره صار التصوير مغلصا للهوى مجرئا للنفس .

فإذا أنفت أنفت من الأسف على الدوام ما لا تحويه صفة فهي تغر الغمر و تهدم العمر و تديم الأسى .

و مع هذا فالمنهوم كلما عب من لذة طلب أختها و قد عرف جناية الأولى و خيانتها . و هذا مرض العقل و داء الطبع فلا يزال هذا كذلك إلى أن يختطف بالموت فيلقى على بساط ندم لا يستدرك .

فالعجب ممن همته هكذا مع قصر العمر ثم لا يهتم بآخرته التي لذتها سليمة من شامت منزهة عن معائب دائمة الأمد باقية ببقاء الأبد .

و إنما يحصل تقريب هذه بإبعاد تلك و عمران هذه بتخريب تلك . فواعجا لعاقل حفيف حسن التدبير فاته النظر في هذه الأحوال و غفل عن التمييز بين هذين الأمرين .

و إن كانت اللذة معصية إنضم إلى ما ذكرناه عار الدنيا و الفضيحة بين الخلق و عقوبة الحدود و عقاب الآخرة و غضب الحق سبحانه .

باٍ إن المباحات تشغل عن تحصيل الفضائل فذم ذلك لبيان الحزم .

فكيف بالمحرمات التي هي غاية الرذائل ؟ .

نسأل الله أن يقطه تحركنا إلى منافعنا و تزعجنا عن خوادعنا إنه قريب